ألوان الوصاية.

○ المحطة الثالثة: وفيها تعرض النزوع الوطني الاستقلالي للانتكاس، بعد رفض الاردن الاعتراف بـ «حكومة عموم فلسطين»، التي أعلنها المؤتمر الفلسطيني الذي عقد في غزة، وقيام الاردن باجراء ترتيبين سياسيين فلسطينيين مضادين[٤]، واخضاع غزة، بصورة تامّة، للسيطرة المصرية (١٩٤٩). وبمقدار ما كان سقوط «حكومة عموم فلسطين» نكسة للوطنية الفلسطينية، كان الاتجاه الفلسطيني نحو رهان جديد على المحيط العربي يبدو بعيداً، حتى من أوساط القوميين الفلسطينيين انفسهم، بحسبان ان ما حصل لم يحصل الّا بأيادٍ عربية.

ان المناخ السياسي الذي ساد في الخمسينات وبداية الستينات أعطى للرهان على الخيار القومي معناه لدى الفلسطينيين، وكرّس، بالمقابل، تراجع النزوع الوطني الاستقلالي لدى العديد منهم. فقد كانت الناصرية في أوج مدّها السياسي. وكانت أفكار القومية العربية مع البعث وجدت طريقها الى المواقف السياسية الفلسطينية. أمّا حركة القوميين العرب، فقد توسّعت بصورة لم يكن يبدو ان قوة أخرى تنافسها، أو هي على وشك ان تكون كذلك.

لقد توّجت المحطة هذه بالتحالف بين حركة القوميين العرب والسلطة الناصرية[٥]؛ ثمّ تأسيس منظمة التحرير الفلسطينية برعاية قومية (ناصرية) ولاهداف تتعلق بمزيد من ضبط حركة النضال الفلسطيني ومراقبتها عربياً، حتى لا تنفلت من الضوابط العربية الموضوعة بدقة. وكما ان العالم العربي اتجه الى وضع اليد على مقاليد العمل السياسي الفلسطيني، والى الربط بين تحرير فلسطين والوحدة العربية[٦]، فان جيلاً من المثقفين والمناضلين الفلسطينيين، الذين درسوا في جامعة القاهرة وجامعة دمشق والجامعة الاميركية في بيروت، وعاشوا موزّعين بين الاقطار الثلاثة تلك، فضلاً عن الاردن والضفة وغزة، وكانوا محمّلين بأفكار القومية العربية التي تلقّوها من أدبيات البعث، ودروس قسطنطين زريق، ومواقف عبدالناصر البطولية في مواجهة الاستعمار والصهيونية، كان جيل المثقفين هذا ميّالاً الى القبول بوجهة النظر السياسية التي تقيم التلازم بين النضال الفلسطيني والنضال القومي العربي وتشرط الاول بالثاني[٧]؛ وكان ميالاً الى العمل تحت سقفها؛ وهو ميل ساعد في نجاح الحركة القومية العربية، في شخص ممثليها البعث والناصرية، في اقامة وحدة فيما بين مصر وسوريا. وكانت الوحدة خلقت الانطباع بأن دائرة الحبل تضيق حول عنق الصهيونية، وبأن نضالاً من مستوى قومي عربي، وحده، كفيل بتغيير الواقعة الصهيونية واسترداد أرض فلسطين، وبأن دولة الوحدة القومية العربية فقط يتقرر بها مصير الفلسطينيين من ضمن سائر شعوب الامة العربية.

○ المحطة الرابعة: وهي أطول محطة في التاريخ السياسي الفلسطيني المعاصر، وفي تاريخ اشكالية الدولة في الفكر السياسي الفلسطيني. لقد استقر، الى حدّ بعيد، الوعي بالطبيعة الوطنية للشخصية الفلسطينية، وبالطبيعة الوطنية للكيان السياسي الفلسطيني؛ ولم يعد التداخل بين الوطني والقومي في العمل السياسي مفهوماً الّا من الزاوية الوظيفية، بحيث تخلّى عن ان يكون تداخلاً تضيع فيه التمايزات الوطنية المشروعة[٨].

شكّلت هزيمة حزيران (يونيو) ١٩٦٧ التاريخ الرسمي لاستقلال الشخصية السياسية الفلسطينية كشخصية وطنية؛ لكنها لم تشكل، بالتأكيد، البداية التاريخية الفعلية لذلك الاستقلال. نعم، لقد أطلقت الهزيمة موجة من النقد للنظام العربي، ولسياساته الوصائية حيال القضية الفلسطينية، وموجة من التبشير بالخيار الثوري الفلسطيني الجديد خياراً بديلاً من الخيار العربي المهزوم. وكانت وجهة هذا النقد تستقر على مطلب تحرير الارادة الوطنية الفلسطينية من